

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ،

وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، لَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى غَفُورًا رَحِيمًا فَحَسَبَ. بَلْ هُوَ كَذَلِكَ عَزِيزٌ لَا يَخْضَعُ لِلْأَسْبَابِ، وَلَا غَالِبَ لَهُ، وَلَا يَحْدُهُ شَيْءٌ وَهُوَ الَّذِي يَقْهَرُ وَيُدْمِرُ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ مَتَى شَاءَ. إِنَّهُ غَفُورٌ قَوِيٌّ عَظِيمٌ غَالِبٌ. فَكَمَا عَظُمَتْ مَغْفِرَتُهُ شَدَّ عَذَابُهُ وَانْتِقَامُهُ. وَهُوَ يُعَامِلُ مَخْلُوقَاتِهِ بِالْعَدْلِ لِيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ بِلَا وَعْيٍ وَلَا بَصِيرَةٍ مِنْهُمْ. فَالَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ - يَعْنِي الْجُهْلَاءَ - يَأْتُونَ الْمَعَاصِي بِسُهُولَةٍ.

أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

كَلِمَةُ التَّقْوَى تَصِفُ لَنَا كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَشِيئَتَا لِلَّهِ. فَإِنَّ مَعْنَى التَّقْوَى الصِّيَانَةُ وَالْاجْتِنَابُ. وَهُوَ الْجُهْدُ وَالْعَمَلُ لِإِعْجَابِ مَنْ لَهُ مَقَامٌ عَالٍ. وَالْمُسْلِمُ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ اسْمِهِ يَشْعُرُ بِمَسْئُولِيَّتِهِ أَمَامَ خَالِقِهِ فَيَجْتَهِدُ لِيَجْتَنِبَ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعَاصِي. فَدَلِيلُ تَقْوَى اللَّهِ هُوَ الْمُجَاهَدَةُ لِحَيَاةٍ يَرْضَاهَا. وَإِذَا ابْتَغَيْنَا رِضَا اللَّهَ فَاعْلَيْنَا بِالتَّمَسُّكِ بِأَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ.

إِخْوَتِي الْمُحْتَرَمُونَ،

نَحْنُ كُْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ الْأَقْلِيَّةَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَنَا خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ - يَعْنِي انْتَمَنَّا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. فَلِذَلِكَ مِنَ الْمُهْمِّ أَنْ يَظْهَرَ تَقْوَانَا فِي مَعَامَلَاتِنَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ. فَإِنَّ الْمَحْصُولَاتِ الْحَسَنَةَ مِنْ حَالِنَا وَمَعَامَلَاتِنَا سَتَكُونُ سَبَبًا لِحُسْنِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْمُجْتَمَعِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ حَقَّ تَقَاتِهِ وَالَّذِينَ يَخْدُمُونَ النَّاسَ جَمِيعًا بِأَحْسَنِ الْخِدْمَاتِ. آمِينَ

إِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمِينَ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنَ الْعَدَمِ وَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَحِقُّ أَنْ نَتَّقِيَهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، أَي: نَخْشَاهُ كَمَا يَسْتَحِقُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾¹ فَكَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَلَانِهِ لَنَا، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَخْشَى مِنْ غَضَبِهِ إِذَا كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي عِبُودِيَّتِنَا لَهُ. فَإِنَّ إِيْمَانَنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَاعْتِمَادَنَا عَلَيْهَا لَا يَغُرُّنَا حَتَّى نَنْظُرَ أَنَّنَا آمِنِينَ مِنْ غَضَبِهِ. فَكَمَا لَا نِهَايَةَ لِرَحْمَةِ رَبِّنَا فَكَذَلِكَ شِدَّةُ عَذَابِهِ لِمَنْ عَصَاهُ.

إِخْوَتِي الْقِيَمُونَ،

مُدِحِ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾² وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا»³ فَلَا يُعْقَلُ لِأَحَدٍ يَعْلَمُ قُدْرَةَ اللَّهِ الْعَظِيمَةَ إِلَّا يُوقِرُهُ وَلَا يُعْظِمُهُ. الْجَهْلُ فِي إِدْرَاكِ قُدْرَةِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ يَضُرُّ فِي الدُّنْيَا وَيُضَيِّعُ الْآخِرَةَ. فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تَسْتَقِرَّ خَشْيَةُ اللَّهِ فِي قُلُوبِنَا، وَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهَا أَعْمَالَنَا، فَشَرْطُهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ تَعَالَى. وَذَلِكَ يَقْتَضِي التَّفَكُّرَ وَالتَّذَكُّرَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَثَارِهِ. فَبِزِيَادَةِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ تَزِيدُ خَشْيَتُنَا وَحُرْمَتُنَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ قَالَ:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁴

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

فَلِمَاذَا تُؤَدِّي مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى خَشْيَتِهِ؟ لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ قَدِيرٌ وَلَكِنْ لَوْلَا عُرْفَ إِلَّا بِغُفْرَانِهِ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَجَاءِ رَحْمَتِهِ بِلَا شَيْءٍ مِنْ تَقْوَاهُ.



³ رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، ج ٢، ص ٢٠٤، رقم الأثر (٧٣٢)

⁴ سورة الفاطر: ٢٨

¹ سورة آل عمران: ١٠٢

² سورة العنكبوت: ٤٣